يباعان بنحو ٣٠,٠٠٠ فرنك . ثم دي بير . ثم بُلتفُنتين . ثم پان . وهذه المعادن صارت اليوم ملك جمعيَّة غفلة (انونيم) تتألَّف من اهل الثروة في باريس ولندن

وقد عادت الاشغال بعد حرب الترنسڤاليَّة الى حالتها الاولى بل لا تزال كلَّ يوم يتَّسع نطاقها وسيرينا الزمن ما هناك من الجواهر الثمينة التي اودعها الخالق في بطن الارض لخدمة عبادهِ . هداهم الله الى كنوز أُخرى لا تفنى

الحَرَّة

او بقعة من بادية الشام

للاب هنري لامنس اليسوعيّ

وصفنا في بعض اعداد سنتنا المنصرمة (راجع المشرق ١٩٠١ ص ٣٢٥—٣٣١) بلاد الصفا البركانيَّة مستندين قولنا الى ما رواهُ الرحَّالة الشهير المسيو دوسو في رحلتهِ الأثريَّة الى جهات الصفا وجبل الدروز (١ على انَّ صاحب هذا الكتاب الفريد لم يكتفِ بما ادَّاهُ لتاريخ سوريَّة وجغرافيَّتها القديمة من الخدم المشكورة حتى اضاف اليها خدمةً جديدة في ربيع سنة ١٩٠١ اذ ضرب ثانيةً في تلك القفار المجهولة ليستخرج دفائنها العلميَّة

وكانت غايتهُ هذه الدفعة ان يتوغَّل في تلك الانحاء ويزور البادية الواقعة ما وراء الصفا وجبل حوران . واليوم قد اودع نتائج هذه الرحلة في بطن كتاب نفيس وسمهُ بهذا العنوان « بعثة الى بوادي الشام الوسطى (٢ » . وليس في خاطرنا ان نفيض في وصف الاكتشافات الاثريَّة المهمَّة التي توفَّق اليها الرحَّالة الفاضل كما انَّنا لا نحاول

---

١) واسم الكتاب بالفرنسيَّة Voyage archéologique au Ṣafa et dans le Djebel ed-Drûz, *Paris*, 1903

٢) وبالفرنسيَّة Mission dans les régions désertiques de la Syrie moyenne, *Paris*, 1901 وصفحات هذا الكتاب ٣٤١ مع خريطة ورسوم

وصف الكتابات العديدة التي وجدها هذه المرَّة كما في رحلتهِ السابقة في لغات شتَّى كاليونانيَّة واللاتينيَّة والنبطيَّة والعربيَّة وخصوصاً في اللغة الصفويَّة (راجع ما كتبنا عنها في المشرق ١٩٠١ ص ٣٢٥ الخ) وفي كلّها من الفوائد ما يُطلق ألسنة كلّ المستشرقين في الثناء على مكتشفها . الَّا اننا نجيل الطَّرف في هذه التحفة البديعة فنستقي من مناهلها العذبة لنفيد قرَّاء المشرق علماً باحدى نواحي الشام التي يجهلها الاكثرون مع قرب موقعها من بلادنا . نريد الحرَّة وما دخل في حيزها

*

اثبتنا سابقًا ما لبراكين جبل حوران من العمل في هيئة تلك البلاد فانَّ من حُمَمها قد تكوَّنت ناحيتا اللَّجا والصفا فتمتدُّ الاولى شمالي غربي ذلك الجبل والثانية على شمالهِ الشرقيّ ولكليهما حجارة بركانيَّة سوداء تبرزهما على صورة غريبة تأخذ بمجامع العيون

واذا ملتَ الى جنوب الصَّفا وشرقيّ جبل حوران رأيت سهولًا تتَّسع امامك على مدى البصر لا تعرف حدودها شرقًا ولا جنوبًا . فتلك السهول هي الحرَّة

والحرَّة في اللغة الحجارة السوداء . قال ياقوت في معجم البلدان (٢ : ٢٤٧) : « الحرَّة ارض ذات حجارة سود نخرة كأنها أُحرقت بالنار والجمع الحرَّات والأَحرُّون والحِرار والحرُّون » . والحرَّات بين دمشق والمدينة كثيرة قد عدَّ منها ياقوت ثماني وعشرين بهذا الاسم اعظمها شأنًا حرَّة الشام التي نحن في صددها . وكانت تدعى « حرَّة راجل » لوقوع وادي راجل في وسطها . وهي معروفة من قبل الاسلام . قال النابغة

يومٌ بريمٍ كأنَّ عدادَهُ اذا هبط الصحراء حرَّة راجلِ

هذا اصلها من حيث اللغة . ودونك وصفها من حيث تركيب طبقات ارضها وجغرافيَّتها . الحرَّة تتركَّب من موادّ بركانيَّة قذفها في سالف الزمان جبل حوران . وقد ظهرت مفاعيل البركان خصوصاً في جهتي هذا الجبل اعني شمالهُ الغربي وشمالهُ الشرقيّ حيث تكوَّن اللجا والصفا اما شرقًا وجنوبًا تمتدُّ للحرَّة فكانت قوَّتهُ اضعف وعلى غير تواصل الَّا انَّ فعلهُ مع ذلك ظاهر للعيان بما يوجد في تلك الانحاء من ركام الحجارة السوداء التي دفعتها مجاري البركان المصهورة الى مسافات بعيدة . وهذه الصخور قد تشقَّقت وتخدَّدت على كرور الأيام لاسيَّما بتسلُّط عامل البَرْد عليها فسقط بعضها

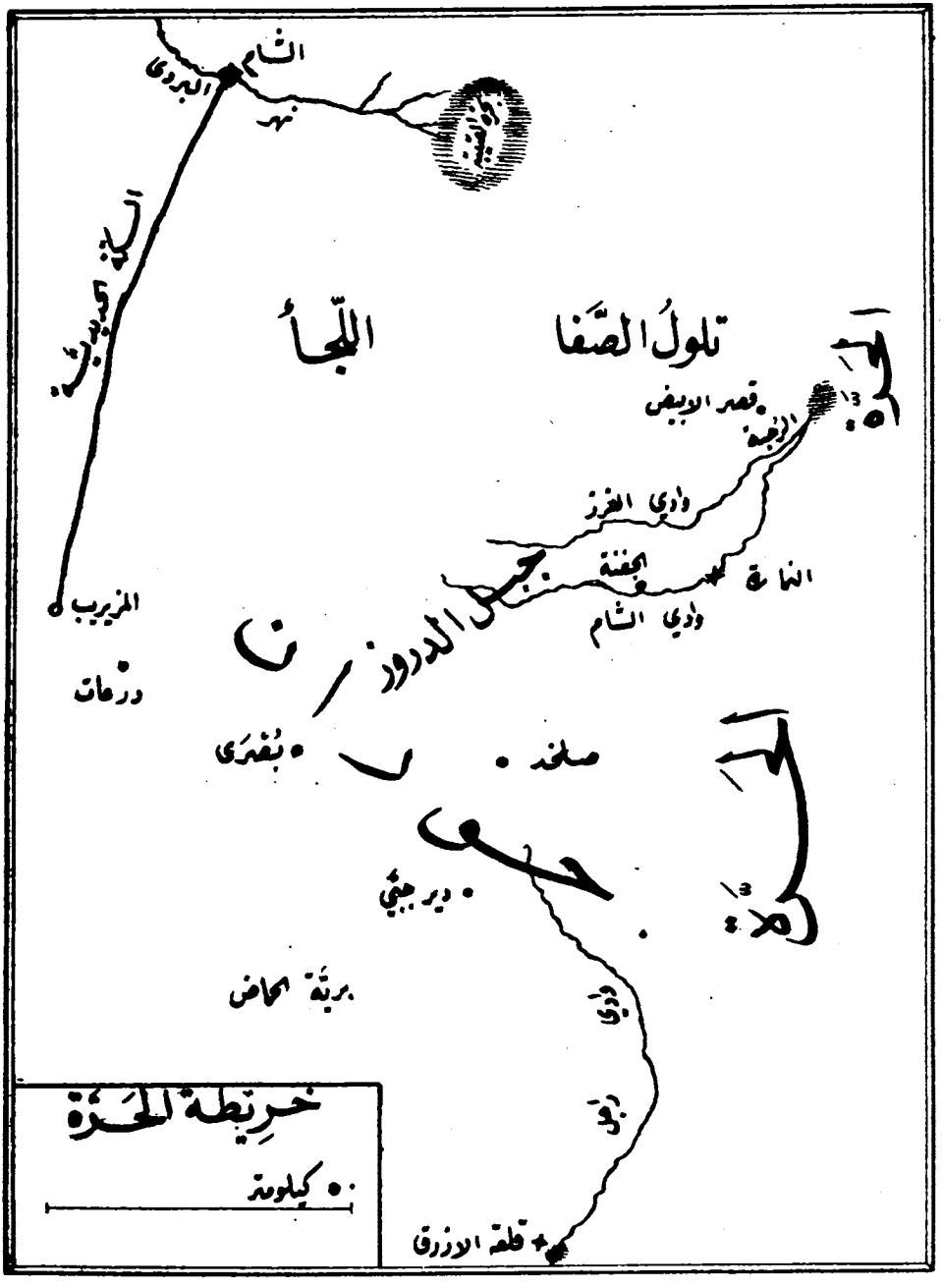
الشام
البدوي
نهر
الزيزفونة
تلول الصفا
اللجاة
قصر الابيض
الرجمة
وادي الغزر
الناعمة
الجفنة
وادي الشام
جبل الدروز
المزيرب
درعات
بصرى
سلخد
دير جبلي
برية الحماض
قلعة الازرق
خريطة الحرة
كيلومتر

وتدهور الى ان عملت فيهِ العوامل الطبيعيَّة فتطَّعتهُ . وأثَّر في هذه الصخور الهواء الجوّي فسوَّدها كما عملت فيهـا سيول المياه فدحرجتها ودَملكتها

وبين هذه الصخور البركانيَّة بُقَعٌ من الحجارة الوعرة لا تكاد تُرى في خلالهـا التربة فيكابد الفارس عناء عظيماً اذا ما سار في تلك الجهات . امَّا اصل هذه البُقَع الحُجرة فمن رِضام اي صخور ضخمة يدعوها عرب البادية رجوماً واحدهـا الرِجم . وفي مُنهبط هذه الصحاري تجتمع المياه في فصل الشتاء وتتكوَّن هناك اراض صفراء تجرف بها السيول فترسب في تلك البطائح وتُرى في الشمس متلألئةً مشعَّة . والعرب يدعون تلك البقع قيعانًا واحدها القاع

ويسقي الحرَّة وادي الراجل الذي ينحدر اليها من منعطف جبل الدروز الجنوبي الشرقي ويجري كذلك الى الجنوب الشرقيّ فيمتدُّ على طول الحرَّة واليهِ تنسب الحرَّة حتى ينتهي الى وادي سرحان قريباً من قلعة ازرق . وفي هذه الصحاري واديان آخران يخترقانها من الغرب الى الشرق على خلاف وادي الراجل وهما وادي الغرز ووادي الشام وكلاهما ينحدر من منعطف جبل حوران الشمالي الشرقيّ . وكلُّ هذه الوديان تنشف بعد الامطار وتنضب مياهها منذ شهر نيسان فتجري في قاب الارض ويُرى منها بقايا في بعض الامكنة . واذا طلب اهل البادية ماء يحفرون لهم في هذه الوديان آباراً غير عميقة فيستقون منها في كلّ حين

وتنتهي مياه وادي الغرز ووادي الشام الى لحف الصفا في بطحاء تدعى الرُحبة فتغمرها في فصل الشتاء حتَّى تصير اشبه شيء بالبحيرة . امَّا وقت الربيع فتكون الرحبة بقعة مُخصبة كثيرة الغلاَّت (راجع المشرق ٤ : ٣٢٩)

هذا وترى ممَّا سبق انَّ ارض الحرَّة لا تصلح للزراعة وانَّ النبات فيها قليل . على انَّ في فصل الشتاء تنبت في خلال الحجارة بعض الاعشاب التي تستطيبها الغنم . امَّا في الصيف فيستولي القحط التامّ على تلك الانحاء . ولا يُرى فيهـا الماء الَّا في بعض نخاريب الصخور التي تنشف بعد زمن فيبقى لاهلها مياه الآبار التي مرَّ ذكرها

وفي هذه الصحراء القفرة الكئيبة اللون لا يستلفت النظر سوى بناء واحد وهو قلعة الازرق يلوح للعين كواحات مصر لِما حولها من اشجار النخل التي يميس سعفها في الجوّ على هيئة بديعة وهي تنتصب في وسط نبات كثيف . وفي شرقيّ القلعة مستنقع

من المياه التي تجري في الاودية المجاورة ومن عين صافية تُدعى عين العوراء. مياهها عذبة لكنَّها ثقيلة وليس ثمَّت عين أُخرى. امَّا الآبار المحفورة في اودية الحرَّة الثلاثة فعندها يضرب العرب خيامهم لحاجتهم الى المياه. وهذا دأبهم منذ الزمن القديم. ولذلك ترى في تلك المواقع على الصخور كتابات من اللغة الصفويَّة بينها بعض آثار عربيَّة

وفي فصل القيظ ينتقل عرب الحرَّة وهم الغياث والشتاية مع قطعانهم الى جبل الدروز فيحتلُّون منعطفهُ الشرقيّ. وقد جاء في الكتابات المكتشفة في تلك الانحاء ما يبيّن انَّ العرب ألفوا هذه العادة منذ الزمن القديم. فان في كتابة صفويَّة منها « انَّ العرب قضوا صيفهم في بعض السنوات في الحرَّة » فدوَّنوا ذلك كأمر خارق العادة (١

ويُستدل من الرسوم التي تُرى على صفائح الحجارة بين المخطوطات الصفويَّة انَّ عدَّة حيوانات كانت تسرح هائمة في جهات الحرَّة لا تكاد اليوم ترى لها اثرًا منها ضروب من الاوعال كالوعل الطويل القرنين المنتصبهما (oryx leucoryx) والوعل المعقَّف القرنين. والوعل الابيض والغزال وكلاهما معروف الى عهدنا. ومنها الاسد الذي تعدَّدت صورهُ في هذه الصخور وذلك دليل على كثرتهِ في الأيام السالفة

امَّا سكَّان الحرَّة فهم اليوم قليلون. وكانوا في غابر الزمن اكثر عددًا ولنا شواهد على قولنا منها بعض الامكنة المأهولة سابقًا وهي اليوم قفرة. ومنها آثار بعض المعاقل كان يُجعل فيها الخفير لأمن البلاد. ومنها ايضًا انَّ طريقًا رومانيَّة كانت تنفذ في الحرَّة فتخترقها سائرةً الى جهات الخليج العجمي. ومنها اخيرًا العدد الوافر من الكتابات الصفويَّة التي تزيّن صخورها وكلُّ ذلك دليل ناطق على انَّ الحرَّة كانت في قديم الأيام بلادًا اعمر منها اليوم في السكَّان فنالت رغمًا عمَّا ضنَّت بهِ الطبيعة على تلك القفار قسمًا من العمران والترقي الذي شمل انحاء الشام على عهد الرومانيين بحيث يصدق فيهم قول القائل انَّهم جعلوا القفر زاهيًا

*

في مقالتنا السابقة عن بلاد الصفا (المشرق ٤ : ٣٢٥) بيَّنَّا بوجيز الكلام ما خُصَّت بهِ لغة تلك البلاد وآثارها الكتابيَّة مستندين الى المخطوطات النادرة والقصيرة التي

(١ راجع كتاب العلَّامة دوسو Inscriptions Safaïtiques, n° 198

وُجدت هناك واكثرها عبارة عن بعض اعلام شخصيَّة . ولذلك كنّا اردفنا قولنا بهذه الملاحظة (ص ٣٣٠) وهو انَّ تلك الكتابات لا تفيدنا شيئاً ذا خطر ولا بُدَّ للحكم عن مضمونها « ان يجمع منها العلماء قسماً اوفر يشتمل على غير الاعلام ليمكن التحرّي والبحث عنها »

وقد تحقّقت آمالنا وصدق ظنّنا بهمّة العلّامة المقدام المسيو دوسو الذي عاد راجعاً من الحرّة ولديهِ مئون من الكتابات العاديَّة المنسوبة الى اهل الصفا . وبعض هذه الآثار عبارة عن اسطر عديدة تحتوي عدَّة تفاصيل عن لغة الاهلين القديمة وآدابهم ودينهم في تلك الصحاري القفرة (١ . وقد توفّق احد العلماء الالمانيين اسمهُ أُوليمّان في تلك الاثناء الى اكتشاف كتابات اخرى من هذه اللغة الصفويَّة التي انكبَّ على درس حروفها فتمكّن من حلّ رموزها وتعريف بعض حروف الهجاء التي اعتاصت قبلهُ على العلماء (٢

فالان قد تيسَّر اذن النظر في اللغة الصفويَّة وتعريف خواصّها بالاجمال وتدوين الفاظٍ عديدة منها . وهذا ما ارادهُ المسيو دوسو في بعض فصول كتابهِ حيث الّف معجماً لهذه اللغة نقلاً عن الكتابات المكتشفة التي شرحها فمن شاء الاطّلاع على اسرارها فعليهِ بالكتاب (من ص ٢٠٦ الى ٢٣٧) وهو بلا شكّ يتحقّق ما بين العربيَّة وهذه اللغة الصفويَّة من الروابط العديدة . ولو كان لدينا شيء من بقايا لغات عرب الجاهليَّة لوجدنا بينها وبين لغة الصفا تشابهاً ادقّ واعظم لاسيَّما لو كانت هذه الآثار العربيَّة ترتقي الى عهد كتابات الصفا التي يتراوح تاريخها بين القرن الثاني والرابع للمسيح لانَّ آثار عرب الجاهليَّة الباقية اليوم في اشعارهم ودواوينهم لا تتجاوز في الغالب القرن السادس واكثرها جمعهُ الأئمّة بعد الهجرة بزمن طويل ولا غرو انَّهم تصرَّفوا في روايتها

ولكي يتمكّن الادباء من مقابلة لغة اهل الصفا القديمة مع العربيَّة احببنا ان نثبت

---

١) راجع ملخص هذه الكتابات الصفويَّة في رحلة المسيو دوسو من الصفحة ٧٩ الى الصفحة ٨٠ وهو يبين ما يستفاد من مضمونها ومعانيها

١) راجع كتابهُ المعنون Zur Entzifferung der Safa - Inschriften, *Leipzig*, 1901

هنا بعض امثلة من الكتابات التي وقف عليها المسيو دوسو وممّا يجب التنبيه عليهِ اوّلًا انّ ال التعريف هي الهاء كما في العبرانيّة وانّ حروف المدّ ا و ي لم تُكتب

فدونك الكتابة الموسومة بالعدد ٩٩ نرسمها هنا بحروفٍ عربيّة بدلًا من الصفويّة

« لجرمال (١ بن حمى بن كن ورعي همز وولد شاهه وسلم اجدل من سقم »

يوافقهُ في العربيّة : [هذه الكتابة] لجرمأل بن حميّ بن كون رعى المعز وولدت الشاء وسلم اجدل (اسم علم) من السَّقَم

والكتابة المرقومة بالعدد ٢٤٢ حرفها :

« لانعم بن سعد بن ادعجت وهله سلم ورضو عور ذ يعور هسفر »

اعني : لأنعم بن سَعْد بن ادعَجَتْ والله سألمهُ . ورَضُو (اسم اله) عوَّر الذي عوَّر السِّفْر (اي الذي يمحو هذه الكتابة . والكتابة الواردة تحت الرقم ٤٠٦ :

« لخلص بن قدم بن متى بن قدم بن ذ النشكر همرج وعور لذ يعور هسفر وحلل هدر »

اي : لخالص بن قدم بن متّى بن قدم بن انعم من [قبيلة] نشكر العَرَجُ والعَوَرُ للذي يعوّر (يمحو) السّفر (الكتابة) . حلّ [في] الدار . اي حلّ خالصٌ في هذا المكان (دوار)

وهذه خاتمة كتابة العدد ٨٨١ :

« وهلت وهبت شناه بن يده »

اعني : واللات (إلهة العرب) وهبَتْ شانئهُ (عدوَّهُ) بين يديهِ

وهذه كتابة اخيرة وردت تحت العدد ٣٤٦

« لبنت بن ضهد ذ وجد اثر اخه »

اي : لبنت (؟) بن ضاهد الذي وجد اثر اخيهِ . اي الذي وجد كتابةً سابقةً لاخيهِ

وفي هذه الامثلة كفاية ليطّلع القرّاء على فحوى هذه الآثار وخواصّ لغتها . وهي رغمًا عن جهل العلماء ببعض دقائقها توقفنا على احوال العرب في هذه الجهات . وعلى كلّ حال فان للمسيو دوسو فضلًا كبيرًا في اكتشاف هذه الآثار فانّهُ لم يبالِ بالاخطار

---

١) كلّ هذه الكتابات تبتدئ على هذه الصورة : « لفلان بن فلان » يريدون انهُ هو كاتب هذه الكتابة . . .

بل عرض نفسهُ لاهوال الاسفار ليتوسّع نطاق معارف العلماء ببادية الشام (١. فجزاهُ الله خيرًا عن همّتهِ ونفعنا زمنًا طويلًا بتآليفهِ التي لا تزال تتوارد حينًا بعد حين متتابعة فتذهل بحسنها وكثرتها المستشرقين. فلا نشكّ ان العلماء ينظمونهُ في جملة اولئك المشاهير من ابناء وطنهِ الذين احرزوا لهم شهرة كبيرة في عالم العلم كدي ڤوكويه ووادنغتون وغيرين وكارمون غانو وكلهم تفانوا في درس آثار سوريّة واستجلاء دفائنها

صناعة السجاد في عكار وازمير

بقلم حضرة الخوري بولس طعمه

لا يعلم الناس هنا بالتدقيق تاريخ السنة التي دخلت فيها هذه الصناعة بلادهم إلّا انّهُ امر اكيد لا يشوبهُ ريب كون الذين ادخلوها هم التركمان وعنهم اخذها المسيحيّون وقد بقي التركمان مدّة غير يسيرة مستقلّين بعمل السجّاد وحدهم يحصّلون من ذلك ارباحًا وافرة لرواج سوقه في الايام الماضية ولكن قد كسدت سوقهُ وقلّت ارباحهُ مذ دخل السجّاد الاجنبي بلادنا فهذا وان كان لا يعادل السجّاد الوطني في احكام الصنعة والمتانة فقد فضّلهُ الناس لبخس اثمانه وقد اشتهر في القديم السجّاد العيدموني الذي يرى منهُ كثير في لبنان وخاصّةً لدى الرهبان فقلّما تجد راهبًا الّا وعندهُ سجادة او خُرْج منهُ. وهو مع توالي الأيّام والسنين عليهِ لم يفقد شيئًا من رونقه ومتانته بل ما زال لونهُ حتى الآن يضاهي الخمل. فوهمَ اذًا من فضّل السجّاد الاجنبي وحسب ذلك اقتصادًا لأنهُ لا يدوم الّا سنين قلائل

وما لبث المسيحيّون ان تعلّموا هذه الصنعة من التركمان واتقنوها اتقان التركمان لها فاصبح الآن قوم كثيرون من الموارنة والروم يجيدون صنع السجاد ولم يعد شغلهُ محصورًا في قرية عيدمون فقط بل ترى كل سكّان المغراقة والجديدة والنهرية والرماح

---

١) ومن احسن هذه الاكتشافات قبر امرئ القيس الذي ورد ذكرهُ في المشرق في احد الاعداد السابقة وهو اقدم اثر لغة العرب